مناوبة منتصف الليل

أمين محمد أمين

ذهب حسام إلى عمله كعادة كل يوم، فهو يعمل فرد أمن بإحدى القنوات الفضائية في الفترة المسائية، حيث يبدأ عمله من الواحدة صباحًا وينتهي في التاسعة صباحًا، دخل غرفة الأمن وبدل ملابسه بملابس الأمن المميزة واستلم عمله وجلس على مقعده جانب البوابه.

مرت حياته أمام عينيه منذ أن كان صغيرًا حتى دخل كلية الهندسة قسم مدني وكل أحلامه وطموحاته و... وضحك كثيرًا عند هذه النقطة؛ فكان يحلم أيام الكلية أن يعمل في إحدى الشركات الهندسية الكبرى ويحصل على راتب خرافي، وكل هذه الاحلام الوردية التي يحلم بها الجميع في المرحلة الجامعية قبل أن يصطدموا بالواقع المرير.

شعر بالصقيع فدخل ليعد كوبًا من الشاي ليشعر ببعض الدفء، دلف إلى الممر المؤدي إلى الاستديوهات ومنه إلى المطبخ الخاص بالعاملين، اشعل الموقد و وضع عليه براد الشاي، وخرج مجددًا إلى الممر وأشعل سيجارته منتظرًا الشاي.

نظر إلى الأستديو الكبير الخالي في أخر الممر وفي قرارة نفسه يحسد المذيعين الذين يجلسون ويلقون ببعض الكلمات والمواضيع التافهة، وفي أخر الشهر يقبض كل منهم مبلغًا يكفي لحل مشاكل عشرة أسر على الأقل.

منهم من يتلقى أجرًا بالحلقة ومنهم بالسنة ومعظمهم لا يفقه شيئًا في السياسة، ولا الأمور الاجتماعية ولكنها الدنيا تعطي من لا يستحق أحيانًا، سمع صوت غليان الماء في البراد فأطفأ الموقد وصنع كوب الشاي وخرج إلى الممر من جديد وأغلق الأضواء وذهب إلى البوابة.

حينما وصل إلى البوابة مجددًا، وجد شابًا يبدو في العشرينيات من العمر ويرتدي ملابس عمال النظافة ، تفاجأ حسام بوجوده في هذه الساعة المتأخرة من الليل،فقال حسام:

- أنت مين؟!

-رد العامل : أنا تامر، وأنت ؟

رد حسام : أنا حسام ، أنت بتشتغل معانا هنا؟!

-نظر تامر إلى سترته وابتسم قائلًا:

-اه بشتغل مدير إنتاج، ضحك حسام قائلًا: لامؤاخذة ، أصلي استغربت وجودك دلوقتي، أنا باجي الساعة بيكون كله مشي أصلًا.

-رد تامر: مهو كله مشي فعلًا حتى أنا كمان مشيت.

-تعجب حسام مما قال تامر، وهم بقول شيءٍ ما ولكن فجأة أضيئت أنوار الممر، تعجب حسام من الأنوار التي أضيئت وحدها، عاد بنظره مرة أخرى ناحية تامر ولكن!

ولكنه لم يجده، دلف مرة أخرى إلى الممر وفتح أبواب الغرف والاستديوهات بحثًا عن أحد، ولكنه لم يجد!

فتساءل في نفسه من أضاء الأنوار؟ وكيف اختفى تامر؟ هل تبخر؟ ماذا يحدث في هذه الليلة الغريبة؟

في اليوم التالي، ذهب حسام إلى عمله مبكرٍ بنصف ، وذهب إلى غرفة عمال النظافة فوجد كبير عمال النظافة والمدعو "عم بيومي" فذهب إليه وألقى عليه التحية ثم ناوله سيجارة وقال:

- بقولك يا عم بيومي هو في حد من العمال كان بايت هنا امبارح؟

- فرد بيومي: لا يا ابني، العمال كلهم مشيوا امبارح على اتناشر ونص، ليه في حاجة ولا إيه ؟

-فقال له حسام : أصلي بليل قابلت واحد من العمال اللي معاك، كانت الساعة حوالي اتنين ونص وقالي إن اسمه تامر.

نظر له عم بيومي نظرة لم يفهمها، وقال له:

-مفيش حد هنا اسمه تامر، أكيد كان بيتهيألك! هم حسام بقول شيء ما ولكن العم بيومي قال مازحًا:

-بطل الهباب اللي بتشربه ده ياض.

ولكن حسام لم يرد واكتفى بالابتسام فقط،

جاءت الساعة الواحدة وتسلم حسام عمله وجلس أمام البوابة كالمعتاد وهو يفكر فيما حدث معه الليلة الماضية وكيف ظهر تامر واختفى فجاة؟!

ثم نظر إلى الممر ووجد أن الأنوار مضاءة فقام لكي يطفئها، وما إن وقف حتى وجد أضواء الممر قد أغلقت، ثم ظهر تامر فجأة بجانبه وقال له:

- عرفت إنك سألت عليا.

فوجيء حسام بوجوده وقال له:

-انت جيت امتى؟ ومنين؟

- فقال له تامر: أنا جيت أطمن عليك، أخبارك ايه؟

- فرد حسام : الحمدلله ، بس برضو انت جيت منين؟

وقبل أن يجيب تامر أضيئت أنوار الممر مرة أخرى ، و أيضًا اختفى تامر!

في اليوم التالي ذهب حسام إلى العمل ولكن مبكرًا ساعتين لكي يقابل المشرف على العمال، وحينما وصل دخل مباشرة إلى غرفة المشرف ولكنه لم يجده، فذهب إلى عم بيومي وجده جالسًا في غرفة عمال النظافة، فقال له حسام:

- عم بيومي، أنا عايزك في موضوع مهم.

- فقال له : خير يا ابني في إيه تاني؟

جلس حسام معه و روى له ما حدث معه الليلتين الماضيتين، فقال بيومي:

-أكيد كان بيتهيألك.

فقال حسام: لا مكنش بيتهيألي ، أنا حاسس إنك مخبي حاجة.

تنهد العم بيومي وأشعل سيجارته، وأخذ نفسًا عميقًا منها ثم قال:

- اسمع يا ابني ، انا هقولك على كل حاجة، من سنتين كان في واحد شغال معانا اسمه تامر كان واد طيب أوي ومخلص لشغله ، وفي يوم اتخانق خناقة كبيرة أوي مع المشرف ومسكوا في بعض، المهم المشرف خبط تامر بالزهرية على دماغه الواد وقع ومات قبل حتى الإسعاف ماتيجي!

فصعق حسام مما سمعه وقال له: يعني إيه؟ يعنى أنا بشوف واحد ميت؟

فابتسم بيومي بغموض وقال: ومين قال إنه واحد بس؟!

استغرب حسام من كلام بيومي، وبينما هو جالس بجوار بيومي دخل أحد عمال النظافة وقال له: أنت مين؟

قال له:

-أنا حسام شغال معاكم في الأمن وردية الليل. فقال له العامل : وبتعمل إيه هنا؟

- فرد حسام : قاعد مع عم بيومي، ونظر بجانبه ولكن، لم يجد بيومي!

-فقال العامل : عم بيومي مين؟ عم بيومي مشرف عمال النضافة؟

فرد حسام : أيوة ، دا لسه كان هنا!

- فرد العامل: كان هنا ازاي يا بشمهندس، عم بيومي مات هو و ابنه من سنتين!